

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

المُلْحَق ٤

القيادة: التطور التاريخي للقيادة في الكنيسة المسيحية

اليوم، تتضمن الطوائف المسيحية المختلفة أنواعًا مختلفة من البنى القيادية. كيف حدث هذا التطور؟ في الواقع، لا تهدف هذه الدراسة إلى تغيير البنية القيادية لطائفتك المسيحية، بل إلى تقديم ملخص وجيز عن التطور التاريخي لبنى قيادية عدّة بعد حقبة العهد الجديد.

١- تعيين الشيوخ (التعليم الكتابي) (٣٠-٩٧ ب.م.).

أ. يعلم العهد الجديد عن تعيين جماعة من الشيوخ فحسب.

يسوع المسيح من خلال روحه.

لا يعلم العهد الجديد عن أي نوع من البنية القيادية الهرمية! لم تكن توجد أي منظمة تظلل جماعات المصلّين (الكنائس). ويسوع المسيح، بعد قيامته وصعوده وتتويجه ملكًا في السماء، تابع العمل الذي كان بدأه على الأرض (أعمال الرسل ١: ١؛ يوحنا ٧: ٣٧-٣٩)، وسكب روحه على تلاميذه (أعمال الرسل ٢) (٣٠ ب.م.). كما أن الروح القدس هو روح يسوع المسيح الذي جاء ليكون مع كلّ مؤمن وفي داخله، ممثلًا يسوع المسيح على الأرض (يوحنا ١٤: ١٦-١٨؛ ١٦: ١٣-١٥؛ رومية ٨: ٩-١٠). أمّا جماعات المصلّين فكان يقودها رأسها، يسوع المسيح (أفسس ١: ٢٠-٢٢)، من خلال روح يسوع المسيح (أعمال الرسل ٩: ٣١).

الروح من خلال الرسل.

عمل الروح القدس (روح المسيح) من خلال التلاميذ الأحد عشر (أعمال الرسل ٢: ١٤) لزرع الجماعات الأولى من المصلّين بين اليهود في أورشليم (أعمال الرسل ٢: ٤١-٤٢) (٣٠ ب.م.)، وفي اليهودية، والجليل، والسامرة (أعمال الرسل ٨: ١، ٤؛ ٩: ٣١) (٣٠-٤٠ ب.م.)، وبين الأمم في قيصرية (أعمال الرسل ١٠-١١) (٤٠ ب.م.) وبين الأمم في أنطاكية (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٤) (٤٤ ب.م.).

وبعد أن آمن بولس بالمسيح (أعمال الرسل ٩: ١-٣٠) (حوالي ٣٤ ب.م.)، استخدمه الروح القدس لزرع كنائس في كيليكية في تركيا (غلاطية ١: ٢١-٢٣) (٣٦-٤٤ ب.م.)، وفي سورية (أعمال الرسل ١١: ٢٥-٢٦) (٤٤-٤٦ ب.م.). وأرسلت كنيسة أنطاكية العطايا لكنيسة أورشليم (أعمال الرسل ١١: ٣٠). ولاحقًا، فرز الروح القدس بولس وبرنابا للرحلات التبشيرية (أعمال الرسل ١٣: ١-٤).

وفي أول رحلة إرسالية لهما (٤٧-٤٨ ب.م.)، زرعا جماعات من المصلّين (كنائس) في كل مكان: في قبرس (أعمال الرسل ١٣: ٤-٥)، وخصوصًا في مدن في تركيا (أعمال الرسل ١٣ و ١٤)، وعيّنّا لجنة من الشيوخ لكل جماعة (أعمال الرسل ١٤: ١٢-١٣). وخلال مجمع أورشليم (حوالي ٥٠ ب.م.) الذي عُقد بين كنائس أنطاكية وأورشليم (الشيوخ والرسل الذين ظلوا مقيمين في أورشليم)، اعترف بطرس ويوحنا ويعقوب بخدمة الله من خلال بولس (أعمال الرسل ١٥: ١-٣٥؛ غلاطية ٢: ١-١٠).

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

وفي الرحلة التبشيرية الثانية (٥٠-٥٢ ب.م.)، زرع بولس ومساعدوه الكنائس في مدن تركيا ومكدونية واليونان (أعمال الرسل ١٥: ٣٦ حتى ١٨: ٢٢)

وفي الرحلة التبشيرية الثالثة (٥٢-٥٧ ب.م.)، خدما في تركيا واليونان (أعمال الرسل ١٨: ٢٣ حتى ٢١: ١٦)، ولمدة سنة ونصف في كورنثوس (أعمال الرسل ١٨: ١١) ولحوالي ثلاث سنوات في أفسس (أعمال الرسل ١٩: ٨-١٠). وفي ميليتس، علم بولس قسوس كنيسة أفسس أن الروح القدس أقامهم أساقفة ليكونوا مشرفين ورعاة للجماعة (أعمال الرسل ٢٠: ١٧، ٢٨) (٥٧ ب.م.).

وخلال فترة سجنه في روما (٦٠-٦١ ب.م.)، كتب بولس رسائله لكنائس أفسس وفيلبي وكولوسي، وذكر أنهم أساقفة وشمامسة (فيلبي ١: ١).

وفي الرحلة التبشيرية الرابعة (٦١-٦٤ ب.م.)، ألهم الروح القدس الرسول بولس (٢ تيموثاوس ٣: ١٦) بكتابة رسائله إلى تيموثاوس وتيطس، وأعطاه تعليمات حول كيفية قيادة كل كنيسة (١ تيموثاوس ٣: ١٤-١٥)، أي من خلال جماعة الشيوخ (١ تيموثاوس ٤: ١٤)، وشروطهم الأساسية، ومهامهم وسلطانهم (١ تيموثاوس ٣: ١-٧؛ ٥: ١٧-٢٢؛ تيطس ١: ٥-٩).

أيضًا، أوحى الروح القدس للرسول بطرس (٦٣-٦٥ ب.م.) (راجع ٢ بطرس ١: ٢٠-٢١؛ ٣: ١-١٦) بكتابة رسائله إلى الكنائس في مقاطعات تركيا (١ بطرس ١: ١)، وأعطاه تعليمات حول كيفية قيادة كل كنيسة أي من خلال جماعة الشيوخ وشروطهم الأساسية ومهامهم وسلطانهم (١ بطرس ٥: ١-٧).

إذًا، خلال حقبة العهد الجديد، أسس الرسل ومساعدوهم كنائس جديدة وعتبوا جماعة من الشيوخ لكل كنيسة (أعمال الرسل ١٤: ٢٣؛ تيطس ١: ٥). وكانت جماعة الشيوخ تدعى "المشيخة" (١ تيموثاوس ٤: ١٤). وكان الإنسان الذي يشغل هذا المركز يُدعى "الشيخ" (في اليونانية presbuteros، وفي الإنكليزية priest) (أعمال الرسل ٢٠: ١٧؛ ١ بطرس ٥). وأحيانًا "الأسقف" (في اليونانية episkopos، وفي الإنكليزية bishop) (تيطس ١: ٧) أو "الراعي" (في اليونانية pomèn، وفي اللاتينية والإنكليزية pastor) (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨؛ فيلبي ١: ١؛ ١ تيموثاوس ٣: ٢١). كما تم استعمال كلمات أخرى للإشارة إلى القادة في الكنائس وهي "قادة أو مرشدون" (في اليونانية hêgoumenos) (عبرانيين ١٣: ٧، ١٧، ٢٤)، "أشخاص يتولون القيادة" (المديرون، المرشدون، القيّمون) (رومية ١٢: ٨؛ اتسالونيكى ٥: ١٢؛ ١ تيموثاوس ٥: ١٧) و"وكلاء" (قيّمون) (في اليونانية oikonomos) (تيطس ١: ٧).

وخلال حقبة العهد الجديد (٣٠-٩٧ ب.م.)، كانت المصطلحات: شيخ (في اليونانية presbuteros، وفي الإنكليزية priest)، أسقف (في اليونانية episkopos، وفي الإنكليزية bishop)، راعي (في اليونانية pomèn وفي اللاتينية والإنكليزية pastor) والأشخاص الذين يتولون القيادة (في اليونانية prohistamenous humon) (اتسالونيكى ٥: ١٢) أو مديرون (في اليونانية prohestotes presbuteroi) (١ تيموثاوس ٥: ١٧) تشير كلها إلى إنسان واحد من دون أي تمييز (أعمال الرسل ٢٠: ١٧، ٢٨؛ ١ بطرس ٥: ١-٢)، لأن العهد الجديد يأتي على ذكر تعيين الشيوخ فحسب، وليس أي نوع آخر من القادة!

كانت الكنيسة تُقاد من خلال "جماعة من الشيوخ" (لجنة أو هيئة الشيوخ) (في اليونانية presbuterion) (١ تيموثاوس ٤: ١٤). وكان جميع الشيوخ متساويين رغم أن البعض منهم كان يضطلع بمهمة الوعظ

الدليل الرابع- المُلحق ٤

والتعليم (اتيموثاوس ٥: ١٧). لم يتلقَّ الشيوخ أي تدريب لاهوتي في معهد اللاهوت أو في مدرسة الكتاب المقدس. لقد كانوا بكل بساطة المؤمنين الأكثر نضوجًا في الجماعة، وكان يتم اختيارهم للقيادة على أساس المؤهلات والمهام الكتابية للقيادة.

وكانت كل جماعة فردية مستقلة عن كافة الجماعات الأخرى من حيث التنظيم (راجع كتاب التدريب ٣، الملحق ١).

ب. لا يذكر العهد الجديد تعيين أي منظمة مظلمة (سنودس أو مجمع كنسي).

بعد الاضطهاد العظيم للمسيحيين في أورشليم (أعمال الرسل ٨: ١-٤) (حوالي ٣٣ ب.م.)، تشتت المؤمنون في بلدان مختلفة وكرزوا بالإنجيل. وأمن عدد كبير من الناس بيسوع المسيح في أنطاكية في سورية (قبل العام ٤٤ ب.م.). وأرسلت كنيسة أورشليم برنابا لمساعدتهم. فأحضر بولس من طرسوس في تركيا لمساعدته (أعمال الرسل ١١: ٢٥-٢٧) (٤٤-٤٦ ب.م.). وتأسست الكنيسة في أنطاكية نتيجة هذا العمل الإرسالي.

في وقت لاحق، سافر عدد من المسيحيين اليهود من أورشليم إلى أنطاكية وحاولوا إقناع المسيحيين غير اليهود بأنه يجدر بهم أن يصبحوا يهودًا أولاً قبل أن يصبحوا مسيحيين! وعلموهم أنه يتوجب عليهم أن يختنوا جسديًا قبل أن ينالوا الخلاص (أعمال الرسل ١٥: ١). فأرسلت الكنيسة في أنطاكية بولس وبرنابا ليتقابلوا مع الكنيسة في أورشليم بهدف حل هذه المشكلة. غير أن اجتماع مسيحيين ينتمون إلى جماعتين مختلفتين لم يكن سينودس أو مجمعًا للكنائس كلها، لأن الجماعات الأخرى (الكنائس المحلية) في المنطقة أو في العالم كله لم تكن ممثلة!

فضلاً عن ذلك، يخبر سفر أعمال الرسل ١٥ فقط كيف تم حلّ المشكلة في تاريخ الكنيسة، لكنه لا يعلم طريقة معينة يجب اتباعها لحلّ المشاكل. غير أنه يمكن اتباع هذا المثال الجيد عن التقاء جماعتين مسيحيتين لحلّ مشكلة ما، لكن الكتاب المقدس لا يعلم أن الله عين سينودس أو مجمعًا للرأس على كافة الجماعات الفردية (الكنائس المحلية) الموجودة في بلد ما أو في العالم.

٢- التطور التاريخي للأساقفة (قيادة هرمية) (٩٧-٣٢٣ ب.م.).

أ. الخصائص التاريخية.

تتميز هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة بقيام صراعات عديدة داخل الكنيسة المسيحية. يعود ذلك إلى التأثيرات الداخلية للديانة اليهودية وديانات الأمم الوثنية وإلى التأثيرات الخارجية لسياسات الإمبراطورية الرومانية وفلسفاتها الوثنية. في النهاية، كانت الكنيسة المسيحية "حول العالم" منتصرة. وكلمة "حول العالم" (catholic المشتقة من الكلمة اليونانية katholikos) تعني "عام"، "شامل" وهي مناقضة للجماعة الفردية (كنيسة محلية واحدة).

ب. تطور المصطلح "شيخ" الكتابي.

الدليل الرابع- المُلحق ٤

خلال هذه الحقبة، تحوّلت قيادة الناموس الطقسي في العهد القديم، التي تتألف من رئيس الكهنة والكهنة واللاويين، إلى بنية هرمية، وتم فرضها على قيادة الكنيسة في العهد الجديد.

ولم يعد مصطلح *أسقف* يصف مهمة الشيخ، بل بدأ يصف مركزًا جديدًا ومنصبًا جديدًا فوق الشيوخ في الكنيسة المسيحية. وبدأ يتم استعمال المصطلح للإشارة إلى شخص أصبح بمثابة رئيس كهنة في الكنيسة في العهد الجديد. وهو كان بمثابة قائد قسم في الكنيسة يشغل أعلى مركز فيها. في هذه المرحلة، كان الرسل قد ماتوا وأصبح يتم اعتبار الأساقفة "خلفاء للرسل". وتدرجيًا، أصبح الأساقفة وحدهم مخولين لتأدية الخدمات الرسمية للكنيسة المسيحية (أي المعمودية، عشاء الرب، الزواج، الجنازات، رسامة الشيوخ).

أما أساقفة القرنين الثاني والثالث فجعلوا من أنفسهم قادة للكنيسة من دون أي سلطان أو تبرير كتابي! جعلوا أنفسهم ضروريين للكنيسة!

ولم يعد مصطلح *شيخ* يصف المركز الأصلي والوحيد للقيادة في الكنيسة المسيحية الذي كان يشترك فيه شيوخ آخرون في لجنة الشيوخ. وبدأ يتم استعمال المصطلح للإشارة إلى فرد واحد أصبح بمثابة *كاهن العهد الجديد* في الجماعة. وهو كان القائد أو الراعي أو القس الوحيد للجماعة (الكنيسة المحلية) (في اليونانية paroikia، في الإنكليزية parish أي أبرشية)، بإشراف من الأسقف.

ثم بدأ يتم استعمال مصطلح *شماس* أو *خادم* للإشارة إلى شخص أصبح بمثابة *لاوي العهد الجديد* في الكنيسة المسيحية. وهو كان بمثابة مساعد أو خادم للكاهن (الراعي أو القس) في الجماعة الفردية بإشراف من الكاهن (الراعي أو القس).

إذًا، بعد حقبة العهد الجديد، وأثناء القرنين الثاني والثالث بعد المسيح، عرف مفهوم القيادة تطورًا تاريخيًا في الكنيسة المسيحية. ولم يكن لهذا التطور التاريخي أي أساس أو سلطان كتابي! وتجدر الإشارة إلى أن "أغناطيوس" (١١٠ ب.م.) هو الأب الرسولي الوحيد الذي أصرّ على وجود حكومة أساقفة ملكية (حكم أسقف واحد). لكنه لم يعلن أبدًا أن هذا نظام إلهي. أيضًا، أفاد "جيروم" (٣٨٤ ب.م.) في تعليقه على تيطس ١: ٥ بأن مبدأ سيادة أسقف واحد هو "وليد الأعراف وليس ناتجًا عن تعيين من الرب"، كوسيلة لتجنب الشقاق داخل الكنيسة المسيحية.

لكن لا يعلم أيّ من العهدين القديم والجديد عن أي هرمية في المراكز داخل الكنيسة المسيحية! كما يعلمنا تاريخ الكنيسة أن تعيين الأساقفة كمركز في الكنيسة الجديدة لم يمنع حدوث شقاق! بل إنه أدى إلى مضاعفة الشقاق نظرًا لمحاربة الأساقفة بطريقة دنيوية من أجل النفوذ.

ج. أساقفة وأسقفيات.

في كل مكان في الإمبراطورية الرومانية، وحتى خارجها، ظهرت جماعات مسيحية جديدة. وعلى الرغم من أن الكتاب المقدس يعلم أن لدى المسيحيين "أمًا" واحدة فقط (أورشليم السماوية) (غلاطية ٤: ٢٦)، لم تشأ ما تسمى "بالكنائس الأم" أن تترك ما تسمى "الكنائس الوليدة" التي أسستها. وبالتالي، تم خلق مركز جديد في الكنيسة المسيحية عبر تغيير مهمة الشيخ وتحويلها إلى مركز جديد ومنصب جديد فوق الشيوخ، يُعرف "بالأسقف" (في اليونانية episkopos، في الإنكليزية bishop أي أسقف).

الدليل الرابع- المُلحق ٤

في العهد الجديد، لم تكن كلمة/أسقف تصف إلا مهمة مركز الشيخ. لكن خلال القرن الثاني، بدأت كلمة/أسقف تصف مركزًا أو منصبًا جديدًا. في العهد الجديد، كانت لجنة الشيوخ (في اليونانية presbuterion في الإنكليزية presbytery) تضطلع بمهمة أسقفية (في اليونانية episkopeo) للإشراف على جماعة مستقلة. لكن خلال القرن الثاني، أصبح أسقف واحد مشرفًا على كافة الجماعات المستقلة في منطقة معينة!

لم يكن لدى كنيسة العهد الجديد إلا بنية قيادية مشيخية، ما يعني أن كل جماعة مستقلة كانت مقادة بهيئة من الشيوخ (وكلمة "شيوخ" واردة بصيغة الجمع). لكن خلال القرنين الثاني والثالث، طورت الكنيسة بنية قيادية أسقفية، أي أن الجماعات المستقلة في منطقة معينة جُعِلت جماعات تابعة لقيادة أسقف (وكلمة "أسقف" واردة بصيغة المفرد). غير أن التطور التاريخي الدقيق من بنية قيادية مشيخية إلى بنية قيادية أسقفية ليس واضحًا. والجماعات التابعة كلها في منطقة معينة شكلت أسقفية يقودها أسقف.

في العهد الجديد، كان يوجد لجنة أو مجلس شيوخ مستقل فحسب (في اليونانية presbuterion) منتخب لقيادة جماعة مستقلة. لكن خلال القرنين الثاني والثالث، كان يوجد أسقف مستقل (في اليونانية episkopos) تم تعيينه ليقود منطقة كاملة من الجماعات التابعة. كانت هذه الخطوة الأولى نحو بنية قيادية هرمية في الكنيسة المسيحية.

لا يوجد أي مبرر كتابي لهذا التطور التاريخي. فالعهد الجديد لا يأمر أو يعلم أو حتى يذكر بنية قيادية هرمية!

٣- التطور التاريخي للسينودس أو المجامع (بنية هرمية) (بعد العام ١٩٥ ب.م.).

يبين تاريخ الكنيسة كيف أن القادة في الكنيسة المسيحية قاموا بمناورة ليشغلوا مناصب قيادية أعلى!

أ. مجامع الكنائس.

في الفصل الخامس عشر من سفر أعمال الرسل، اجتمعت كنيسة كنيستان لمناقشة مسألة الختان، وإنما لم يحدث ذلك ضمن إطار اجتماع لممثلي الكنائس في منطقة معينة!

وخلال القرن الثاني ب.م.، نقرأ للمرة الأولى عن تجمعات تمثيلية للكنيسة المسيحية في مقاطعة آسيا (تركيا اليوم). وتمت دعوة ممثلي الكنائس المجاورة للمشاركة في تعيين أو إقالة أسقف (!)، وعزل أعضاء في الجماعة ممن تمسكوا بعقائد خاطئة (المونتانية).

وفي العام ١٩٥ ب.م. تم أيضًا عقد اجتماع مماثل للكنيسة المسيحية في الغال (فرنسا اليوم) حيث كان إيريناوس أسقفًا. وكان الممثلون في تلك الاجتماعات شيوخًا وشمامسة وأعضاء كنائس.

ب. مجامع الأساقفة.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

خلال القرنين الثالث والرابع ب.م. استمرت الأسقفية الأحادية (أسقف واحد يقود جماعات فردية عديدة) في التطور. خلال هذه الفترة، تحولت اجتماعات (سينودس أو مجامع) ممثلي الجماعات الفردية إلى سينودس أو مجامع (تجمعات) للأساقفة وحدهم.

وكان الممثلون في مجمعي روما (٢٥٤ ب.م.)، أنطاكية (٢٦٤ ب.م.)، و٢٦٩ ب.م.) وإفيرا (٣٠٥ ب.م.) فضلاً عن كونهم أساقفة، كانوا شيوخاً وشمامسة وأعضاء في الجماعات. لكن الممثلين في المجمع الثاني في الإسكندرية وقونية (٢٣٥ ب.م.) كانوا أساقفة فحسب. وتم الإعلان في مجمع نيقية (٣٢٥ ب.م.) أن الأساقفة وحدهم هم الممثلون الرسميون للجماعات! وعلى الرغم من أن أعضاء الكنائس هم الذين اختاروا الأساقفة أساساً، بحلول القرن الرابع ب.م. تم استبعاد أعضاء الكنائس من المجمع وأصبح الأساقفة يتمتعون بالامتياز الحصري باتخاذ القرارات!

ج. المجامع الإقليمية (بقيادة المطارنة).

بحلول القرن الرابع ب.م. أصبح أساقفة المدن الكبيرة (المطارنة) أهم من سائر الأساقفة. كما أن المجامع التي تم عقدها في هذه المدن أصبحت مجامع إقليمية. في البداية، ترأس أسقف المدينة الكبيرة هذه المجامع الإقليمية كامتياز له، لكن سرعان ما تحول هذه الامتياز إلى حق قانوني! بهذه الطريقة، أصبح أهم الأساقفة المطارنة رئيساً على جميع الأساقفة في البلاد.

ففي الغرب مثلاً، أصبح أسقف (مطران) روما رئيساً على جميع الأساقفة في إيطاليا؛ وأسقف (مطران) الإسكندرية رئيساً على جميع الأساقفة في مصر وليبيا والبنطابوليس؛ وأسقف (مطران) قرطاج رئيس جميع الأساقفة في أفريقيا الغربية؛ وأسقف (مطران) ليون، رئيس جميع الأساقفة في الغال (فرنسا). وبطريقة مماثلة، في الشرق، أصبح أسقف (مطران) أورشليم رئيساً على جميع الأساقفة في فلسطين؛ وأسقف (مطران) أنطاكية، رئيساً على جميع الأساقفة في سوريا؛ وأسقف (مطران) كورنثوس رئيساً على جميع الأساقفة في اليونان. وتم الإعلان في مجمع نيقية (٣٢٥ ب.م.) عن ضرورة عقد هذه المجامع الإقليمية الكبيرة مرتين في السنة تحت قيادة المطران (أسقف المدينة الكبيرة) على أن يتمتع الأساقفة وحدهم بحق التصويت!

د. المجامع المسكونية (حول العالم).

نفوذ الأساقفة.

نمت المجامع المسكونية بالتوازي مع المجامع الإقليمية. وحتى الآن، تم عقد ٢٣ مجمع مسكوني. الثمانية الأولى دعا إليها الأباطور (السياسي): نيقية (٣٢٥ ب.)، القسطنطينية (٣٨١ ب.م.)، أفسس (٤٣١ ب.م.)، خلقيدونية (٤٥١ ب.م.)، القسطنطينية (٥٥٣ ب.م.)، القسطنطينية (٦٨٠ ب.م.) نيقية (٧٨٧ ب.م.) والقسطنطينية (٨٦٩ ب.م.).

النفوذ المتزايد للبابا، مطران-أسقف روما.

في المجامع اللاحقة، تعاضم نفوذ بابا الكنيسة الغربية أكثر فأكثر إلى أن أصبح الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية نهائياً مع تعرض القسطنطينية للنهب على يد صليبيين غربيين في العام ١٢٠٤ ب.م. أما ما يعرف بالمجامع الإصلاحية: المجمع السادس عشر في بيزا (١٤٠٧ ب.م.)، المجمع السابع عشر في

الدليل الرابع- المُلحَق ٤

كونستانس (١٤١٤-١٤١٨)، والمجمع الثامن عشر في بازل (١٤٣١-١٤٤٣ ب.م.)، فحاولت وضع حدّ لسلطة البابا وجعلت مجمع الأساقفة فوق البابا (أسقف روما). غير أن مبدأ الهرمية انتصر.

نفوذ البابا المطلق.

بدا الإصلاح الذي أدى إلى نشوء الجماعات البروتستانتية في العام ١٥١٧ ب.م. مع مارتن لوثر. وكان المجمع الحادي والعشرين للكنيسة الغربية (الكنيسة الرومانية الكاثوليكية) في ترينت (١٥٤٥-١٥٦٣ ب.م.) مجمعاً مناهضاً للإصلاح. وفي ١٨ يوليو ١٨٧٠، أعلن المجمع الثاني والعشرين في الفاتيكان في روما (١٨٦٩-١٨٧٠ ب.م.) تحت التأثير العظيم للرهبانية اليسوعية للكنيسة الكاثوليكية عصمة البابا من الخطأ، وأخضع القرارات في المجمع كافة لموافقة البابا! يُعرف هذا المجمع بـ "المجمع الفاتيكاني الأول".

٤- التطور التاريخي للمطارنة، والبطاركة، والباباوات (قمة الهرمية) (٣٢٥-٦٠٠ ب.م.).

تمحور الصراع على النفوذ بين الأساقفة داخل المجمع حول هوية الأسقف الأعلى والأهم. وأصبح الصراع السياسي على النفوذ بين القياصرة في العالم هو الصراع الروحي على النفوذ بين الأساقفة في الكنيسة!

أ. خصائص تاريخية.

خلال القرنين الأولين ب.م.، تعرّض المسيحيون للاضطهاد على يد القياصرة الرومانيين. لكن نظرًا لنمو المسيحية وتراجع الديانات الوثنية، وعد القيصر قسطنطين بحماية المسيحيين في العام ٣١١ ب.م. وأصدر مع زملائه القياصرة مرسوم ميلانو في العام ٣١٣ ب.م. وجعل المسيحية مساوية للديانات الأخرى في الأباطورية الرومانية. وبعد أن انتصر قسطنطين على زملائه القياصرة، منح انتصاره لإلهه المسيحيين وأصبح "مسيحيًا" في العام ٣٢٣ ب.م. لكنه لم يحضر أبدًا اجتماعًا في الكنيسة وأظهرت عملاته المسيح وإله الشمس الذي لا يُفهر على الجهتين. ومنذ العام ٣٢٣ ب.م. أصبحت المسيحية ديانة الدولة ودعا قسطنطين نفسه "أسقف الشؤون الخارجية للكنيسة". وفي العام ٣٢٦ ب.م. جعل بيزنطية عاصمةً إمبراطورية العالم المسيحي وحوّل اسمها إلى قسطنطينية (إسطنبول لاحقًا). وفي العام ٣٣٠ ب.م. نقل العرش السياسي من روما في الغرب إلى قسطنطينية في الشرق، ربما بسبب ضغط العائلات الوثنية المقتدرة في روما.

ومع دخول العالم إلى الكنيسة، برزت رهنيات بين العلمانيين ورجال الدين خلال القرنين الثالث والرابع. وبينما كان على المسيحيين العاديين أن يطيعوا قوانين الله الأخلاقية، ألزم الرهبان أنفسهم طوعًا بأمور موصى بها مثل الصوم والامتناع عن الزواج.

وبحلول العام ٤٥٠ ب.م. كان بإمكان عدد ضئيل من الناس في الغرب أن يقرأوا اليونانية، وبحلول العام ٦٠٠ ب.م. كان قلّة في الشرق يتكلمون اللاتينية. أما في الميدان السياسي، فبرزت إمبراطوريتان ضخمتان: الإمبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية (حتى العام ١٤٥٣ ب.م.) والإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما (حتى العام ٤٧٦ ب.م.). في هذه القرون، انفصلت الكنيسة الناطقة باليونانية في الشرق عن الكنيسة الناطقة باللاتينية في الغرب.

وضمن الكنيسة المسيحية حدثت ثلاثة تطورات:

- (١) تطور العقيدة المسيحية في التعليم.
- (٢) ظهور الشكل الخارجي للطقوس المسيحية في العبادة.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

(٣) تطور الهرمية المسيحية في القيادة.

ب. المطارنة.

كان الأساقفة في المدن الكبيرة يدعون "مطارنة". ثم إن المطارنة في الجماعات التي أسسها رُسُل يسوع المسيح تلقوا مرتبة أعلى. كان هؤلاء المطارنة متواجدين في مدن أورشليم في فلسطين، وأنطاكية في سوريا، وأفسس في تركيا، وروما في إيطاليا، والإسكندرية في مصر.

ج. البطاركة.

وضع مجمع نيقية (٣٢٥ ب. م.) مطارنة روما (في الغرب)، والإسكندرية (في الجنوب)، وأنطاكية (في الشرق) فوق سائر المطارنة وأطلق عليهم لقب "بطاركة".

وأضاف مجمع القسطنطينية (٣٨١ ب. م.) مطران القسطنطينية، كما أضاف مجمع أفسس (٤٣١ ب. م.) مطران أورشليم إلى قائمة البطاركة، المراكز الخمسة الأعلى في الكنيسة.

د. الباباوات.

تدرجياً، كان اثنان من البطاركة يتنافسان على التفوق: بطريك روما في الغرب وبطريك القسطنطينية في الشرق. وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في العام ٤٧٦ ب. م.، لم يكتفِ أساقفة روما بلقب "بطريك". فأجروا مناقصة على المركز الأسمى والأهم في الكنيسة المسيحية عبر الاحتكام إلى البراهين الثلاثة الآتية:

- (١) احتكموا إلى متى ١٦: ١٨-١٩، مفسرين ذلك على أن يسوع أعطى بطرس المركز الأعلى بين الرُسل.
- (٢) احتكموا إلى الواقع التاريخي بما أن الرسولين بطرس وبولس أقاما في روما وعملا فيها.
- (٣) واحتكموا إلى التقليد أي أن الرسول بطرس كان أول أسقف في روما.

في القسطنطينية، كان البطاركة مجرد دمية وأعبوبة بين يدي القياصرة الرومانيين. كانوا مجرد وسيلة بين يدي القادة السياسيين. لذا فإن روما وبصفتها تضم أحد المقاعد البطريركية الخمسة، لم تتلق المركز الفخري فحسب (في اللاتينية primates honoris) بين البطاركة، بل أيضاً المركز الأسمى المطلق (في اللاتينية primates ordinis) بين البطاركة بموجب ما يعرف بالحق الإلهي، لأنهم احتكموا إلى متى ١٦: ١٨-١٩.

بعد ذلك، البابا إينوسنت الأول (٤٠١-٤١٧ ب. م.) وبصفته أسقف روما، نسب إلى نفسه سلطاناً أعلى من سلطان سائر الأساقفة في العالم. عندئذٍ، أصبحت الكنيسة الكاثوليكية أسقفية ملكية -قيادة أحادية الرأس لمجمع الأساقفة"، حيث يتمتع أسقف (مطران) روما بالسلطة الأعلى في الكنيسة. وأطلق أساقفة روما على أنفسهم لقب "بابا" ومعناه "أب" (راجع متى ٢٣: ٩). في البداية، كان جميع الأساقفة يُدعون "بابا"، أما الآن فيُنسب هذا اللقب إلى أسقف روما وحده.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

يُدعى البابا غريغوريوس الأول (٥٩٠-٦١٥ ب.م.) مؤسس السلطة العلمانية للبابوية. ولم يكن البابا يُعتبر السلطة الأعلى في المسائل الروحية فحسب، بل أيضًا السلطة الأعلى في المسائل الدنيوية!

ومنذ المجمع الفاتيكاني الأول (١٨٧٠ ب.م.) للكنيسة الكاثوليكية، يُعتبر أسقف روما أيضًا "الأسقف العالمي للكنيسة المسيحية كلها". كان هذا إعلانًا مناهضًا لكيان كنائس الإصلاح! أيضًا يُعتبر البابا "راعي الكنيسة المسيحية كلها" وهو بالتالي حل مكان يسوع المسيح (١ بطرس ٢: ٢٥؛ ٥: ٤)! كما يُعتبر البابا "ممثل المسيح على الأرض" وهو بذلك حل مكان الروح القدس (يوحنا ١٤: ١٦-١٧، ٢٦؛ ١٦: ٧-١٥)! لهذه الأسباب تعلم الكنيسة الكاثوليكية أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية، وبذلك حلت الكنيسة الكاثوليكية مكان يسوع المسيح (أعمال الرسل ٤: ١٢)! لذا، لا يمكن للكنيسة الكاثوليكية أن تعترف رسميًا بالكنائس المسيحية الأخرى في العالم!

لكن يسوع لم يعط بطرس أبدًا المركز الأعلى. كما أن تفسير ما جاء في متى ١٦: ١٨-١٩ على أنه المركز الأعلى يشكل انتهاكًا لتعليم يسوع في متى ٢٠: ٢٥-٢٨! فلقد استخدم يسوع بطرس وسائر الرسل لتأسيس الجماعة التاريخية الأولى بين اليهود (أعمال الرسل ٢: ١٤-٤٢)، الجماعة التاريخية الأولى بين أنصاف اليهود (السامريون، أعمال الرسل ٨: ٤-١٧) والجماعة التاريخية الأولى بين غير اليهود (الأمم، أعمال الرسل ١٠: ٩-٤٨)، متممًا بذلك ما قاله في متى ١٦: ١٨-١٩؛ ١٨: ١٨ وأعمال الرسل ١: ٨. كان الرسل القادة التأسيسيين للكنيسة المسيحية التاريخية، لكن لم يكن يوجد أي خلفاء لمركزهم، لأن ما من أحد أهل لذلك وفق الكتاب المقدس (أعمال الرسل ١: ٢١-٢٢؛ أفسس ٢: ٢٠؛ رؤيا ٢١: ١٤)!

تعترف الجماعات المسيحية الحقيقية كافة بيسوع المسيح راعيًا أو قسًا (في اليونانية *poimèn*) وأسقفًا (في اليونانية *episkopos*) للكنيسة المسيحية كلها على الأرض (يوحنا ١٠: ١٦؛ عبرانيين ١٣: ٢٠؛ ١ بطرس ٢: ٢٥؛ ٤: ٤)، كما أنها تعترف بالروح القدس ممثلًا (في اليونانية *paraklètos*) ليسوع المسيح على الأرض (يوحنا ١٤: ١٦-١٧، ٢٦؛ ١٦: ٧-١٥)!

٥- التطور التاريخي للطوائف (الشقاق بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس الرومانية الكاثوليكية الغربية) (٦٠٠-١٥١٧ ب.م.)

أ. ابتعاد بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية.

دامت العصور الوسطى من العام ٦٠٠-١٥١٧ ب.م. خلال القرون الأولى من هذه الحقبة، تطور الابتعاد بين الكنيسة اللاتينية الغربية والكنيسة اليونانية الشرقية. في النهاية، أدى هذا الابتعاد إلى شقاق دائم في العام ١٢٠٤ ب.م.

أبرشية رسولية في الشرق والغرب.

تشكل الأبرشية وحدة أسقفية يشرف عليها الأسقف أو المطران. خلال القرن الأول، كان رسل المسيح قد أسسوا جماعات مستقلة عديدة. لكن ما بين القرنين الثاني والرابع، تطور النظام الهرمي للقيادة بين الأساقفة ومجامع الأساقفة. وفي الإمبراطورية الرومانية الشرقية ساد حس قوي بالمساواة بين جميع الأساقفة. لكن، لم تكن هذه الحال في الإمبراطورية الرومانية الغربية. فروما بشكل خاص، ادعت أنها الأساس الرسولي وتم اعتبارها الأبرشية الرسولية في الغرب. وفي حين أن الكنيسة الغربية قبلت قرارات المجامع المسكونية، هي

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

لم تلعب دورًا فعالًا جدًا في المجامع بحد ذاتها. وقلما كان يتم اعتبار الكنيسة الغربية مجمعًا (هيئة منظمة من القادة) بل كانت بالأحرى ملكية، ملكية البابا.

ملكية الأباطرة في الشرق.

كان يتم اعتبار ملكية الأباطرة الروماني في بيزنطة (القسطنطينية أو إسطنبول) على الأرض بمثابة صورة أو أيقونة (الكلمة اليونانية للتعبير عن "الصورة") لملكية الله في السماء. وفي الشرق، كان يتم اعتبار الأباطرة ممثلين لله على الأرض. وفي الكنيسة الشرقية كان الناس يسجدون أمام أيقونة المسيح، أما في البلاط الملكي، فكانوا يسجدون أمام الأيقونة الحية-الأباطرة الروماني. في الشرق، لم يكن يوجد خط متين فاصل بين الكنيسة الشرقية والدولة الرومانية. بل كان يتم اعتبارهما هيئة واحدة. وكانت الكنيسة الشرقية (من خلال أساقفتها ومطارنتها) تهتم بنفوس الناس، أما الأباطرة الروماني (وبصفته ممثل الله على الأرض) فكان يعتني بأجساد الناس. وكان الأباطرة يدعو إلى عقد مجامع، فيحدد الأساقفة ماهية الإيمان الحقيقي، فيما يطبق الأباطرة الروماني مراسيم المجمع.

مهام البابا الأتوكراتية في الغرب.

أدى الغزو البربري في الغرب إلى انهيار الأباطورية الرومانية الغربية، ما عمل على تعزيز البنية الأتوكراتية للكنيسة الغربية. فتولّى البابا (بصفته الأسقف الأعلى) السلطة بنفسه في العالم الديني وأصدر أحكامًا في المسائل الدينية والعلمانية على حد سواء.

خلال العصور الوسطى، انضمت قبائل جرمانية عديدة إلى الكنيسة الغربية. ومن ناحية، كان الشعب يريد كنيسة دولة- أي كنيسة واحدة ضمن دولة واحدة. ومن ناحية أخرى، كان الباباوات يريدون دولة كنيسة- أي دولة واحدة في عالم تحكمه كنيسة واحدة هي كنيسة روما الواحدة. أراد الباباوات أن يحكموا الكنيسة والدولة (لكن في الغرب لم يكن البابا يُعتبر بعد ممثل الله على الأرض)! إذًا، كان يوجد صراع دائم بين العائلات الملكية في الدول السياسية من ناحية، وباباوات الكنيسة الغربية من ناحية أخرى.

رجال الدين والعلمانيون في الغرب.

كان عدد كبير من المسيحيين العلمانيين في الشرق أناسًا مثقفين ولاهوتيين علمانيين على حد سواء. كانوا يقرأون اللاهوت ويكتبونه ويعلمونه. لكن الغزو البربري في الغرب جعل معظم العلمانيين في الغرب غير مثقفين. فلم يكن بإمكانهم أن يقرأوا، ناهيك عن فهم المسائل اللاهوتية. فأصبح العلم واللاهوت في الغرب حكرًا على الكهنة وحدهم في الكنيسة الغربية. وحدث انقسام كبير بين رجال الدين والعلمانيين في الكنيسة الغربية.

التطور اللاهوتي في الشرق والغرب.

أصبحت الكنيسة اليونانية الشرقية أكثر تأملًا، فيما صارت الكنيسة اللاتينية الغربية أكثر عملية. في الواقع، فهمت الكنيسة اليونانية الشرقية اللاهوت بلغة العبادة والطقوس الدينية، فيما تأثرت الكنيسة اللاتينية الغربية بأفكار قانونية، وبمفاهيم القانون الروماني. وفي ما يتعلق باللاهوت، بدأت الكنيسة اليونانية الشرقية مع ثلاثية الكائن الإلهي أو الطبيعة الإلهية (في اليونانية hupostasis)، فيما بدأت الكنيسة الرومانية الغربية مع وحدة اللاهوت. وفي إطار التأمل بالصلب، فكرت الكنيسة اليونانية الشرقية في المسيح أولاً على أنه المنتصر (القائم من الموت)، فيما فكرت الكنيسة الرومانية الغربية في المسيح على أنه الضحية (المصلوب). وتكلمت الكنيسة اليونانية الشرقية أكثر عن التآليه (المسيح بصفته الله القدير)، فيما تكلمت الكنيسة الرومانية الغربية أكثر عن الفداء (المسيح بصفته المخلص).

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

البابا الغربي أعلن أنه يتمتع بالسلطة العالمية.
في البداية، أدت البنية المركزية والملكية للكنيسة الغربية إلى ادّعاء البابا أنه يتمتع بالسلطة المطلقة في الغرب فحسب. لكن حين بدأ البابا يعتقد أن سلطانه القضائي المباشر امتدّ إلى الشرق كما إلى الغرب، كان لا بد أن تنشأ المشاكل.

البابا الغربي أعلن أنه معصوم من الخطأ.
اعتبر بابا الكنيسة الغربية العصمة من الخطأ حقًا مقصورًا له. لكن بطاركة الكنيسة الشرقية اعتبروا أنه في ما يتعلق بمسائل الإيمان (العقيدة المسيحية والحياة المسيحية)، لا يعود القرار النهائي إلى البابا وحده، بل أيضًا إلى مجمع يمثل أساقفة الكنيسة المسيحية كافة.

ب. بعض ادّعاءات الباباوات الغربيين.

البابا إينوسينتيوس الأول (٤٠١-٤١٧) ادّعى أنه يتمتع بسلطة أعلى من سلطة سائر الأساقفة في العالم ونسب لقب "بابا" له وحده.

البابا غريغوريوس الأول (٥٩٠-٦١٥) أعلن أن السلطة الدنيوية كلها تعود إلى البابا.

البابا نقولا الأول (٨٥٨-٨٦٧) رفع سلطة بطريرك روما فوق سلطة سائر المطارنة داخل الكنيسة في العالم كله، وفوق سلطة كافة القياصرة خارج الكنيسة.

البابا نقولا الثاني (١٠٥٩) فوّض "الكرادلة" بانتخاب بابا جديد، ويشكّل الكرادلة مجمعًا مؤلفًا من ستة أساقفة، و ٥٠ كاهنًا و ١٤ شماسًا، يقيمون جميعًا في مدينة روما!

البابا غريغوريوس السابع (١٠٧٣-١٠٨٥) فرض فصل الكنيسة عن العالم؛ وفرض مُثُل الرهبنة على الكنيسة، كما فرض الامتناع عن الزواج على الأساقفة والمراكز الأعلى وكافة المراكز الأخرى في الكنيسة، ما أدّى إلى طرد الكهنة المتزوجين. ولم يعد بإمكان الكهنة أن يبدوا كأناس علمانيين. وحاول أن يؤسس حكومة دينية في جميع أنحاء العالم من خلال الكنيسة-الدولة، حيث أخذ البابا (الشمس) مكان المسيح على الأرض وساد على الملوك (الأقمار).

البابا إينوسينتيوس الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤) وضع الكرادلة (الرومانيين) فوق جميع الأساقفة في العالم وارتدوا جبّة حمراء كرمز للإجلال.

البابا بونيفاسيوس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣) أصدر الأمر البابوي المعروف بالـ unam sanctam (١٣٠٢). وقد جاء فيه أن السيف الدنيوي خاضع للسيف الروحي وأن السلطة الدنيوية خاضعة للسلطة الروحية. كما أنه أعلن أن الإيمان بالسلطة البابوية المطلقة ضروري للخلاص!

المجمع الفاتيكاني المنعقد في ١٨ يوليو ١٨٧٠ تحت تأثير الرهبنة اليسوعية للكنيسة الكاثوليكية منح النظام البابوي مرتكزه حين جعل من عصمة البابا من الخطأ عقيدة يتوجب على جميع أعضاء الكنيسة الكاثوليكية أن يؤمنوا بها.

ج. مسألة الإبن.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

ينص قانون الإيمان النيقية القسطنطيني (٣٢٥ و ٣٨١) أساسًا على الآتي "أؤمن... بالروح القدس، الرب، واهب الحياة، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والإبن، يُسجد له ويُمجَّد. يبدو أن هذا نشأ في إسبانيا كوقاية من الآرية (التي هاجمت طبيعة المسيح الإلهية) (راجع رومية ٨: ٩-١٠؛ ١ بطرس ١: ١١).

لكن الكنيسة اللاتينية الغربية وأثناء مجمع توليدو في إسبانيا (٥٨٩) أضافت الكلمات الآتية "ومن الإبن" (في الأسبانية *filioque*) إلى قانون الإيمان وأصبح مفاده الآن "المنبثق من الآب ومن الإبن". وامتدت هذه الإضافة إلى فرنسا وألمانيا، ورحب بها شارلمان وتبناها مجمع فرانكفورت شبه الثائر (٧٩٤). غير أن الكتاب في بلاط شارلمان جعلوا من مسألة البنوة مسألة جدل متهمين الكنيسة اليونانية الشرقية بالهرطقة.

وفي العام ١٠٥٤، وضع الكاردينال الغربي هامبرت أمر بالحرم الكنسي على مذبح آيا صوفيا في القسطنطينية، لكن تم رفضه. فكانت هذه بداية الشقاق بين الكنيسة اليونانية الشرقية والكنيسة اللاتينية (الرومانية) الغربية.

وفي العام ١١٠٩، قام البطريرك الشرقي سيرجيوس القسطنطيني بحذف اسم البابا الغربي سيرجيوس الرابع من اللوح المزدوج، وهما قائمتان يحتفظ بهما كل بطريرك، تتضمنان أسماء كافة البطارقة الأحياء والراجلين المعترف بأرثوذكسيتهم. عمليًا، كانت كنيسة روما الغربية وكنيسة القسطنطينية الشرقية *تفتقران إلى التواصل بينهما*.

د. الحروب الصليبية.

جاءت الحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٧٠) وهي "حروب مقدسة" في إطار الرد على سياسة القمع والاضطهاد ضد المسيحيين والحجاج في فلسطين على يد الفاطميين والسلاجقة من ناحية، والرد على دعوة البابا أوربانوس الثاني لدى الاجتماع في بياتشينزا وكليرمون (١٠٩٥) إلى تحرير أورشليم من ناحية أخرى. لكن يجب أن يتذكر المسيحيون أن الحروب المقدسة مناهضة تمامًا لتعاليم يسوع المسيح وللكتاب المقدس (متى ٥: ٣٨-٤٨)!

قام الصليبيون من الكنيسة اللاتينية الغربية بسبي أنطاكية من يد الأتراك في العام ١٩٠٨، وأورشليم في العام ١٠٩٩، وأقاموا بطارقة لاتينيين غربيين. وبحلول العام ١١٨٧، كان يوجد بطريرك لاتيني غربي في عكا، وبتريرك يوناني شرقي في أورشليم. ادعى الأسقفان المتنافسان أنهما يعتليان العرش نفسه، فظهرت روح من الحقد والمرارة بين الجماعتين المتنافستين. وقام السكان البيزنطيون الشرقيون بنذب عدد كبير من السكان اللاتينيين الغربيين في القسطنطينية في العام ١١٨٢. فردّ الصليبيون الغربيون ونهبوا القسطنطينية في العام ١٢٠٤، ما سبب انقسامًا أو شقاقًا بين الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق والكنيسة الرومانية في الغرب.

ه. خاتمة.

أدى التنافس بين بطارقة روما والقسطنطينية إلى أول شقاق كبير في الكنيسة المسيحية حول العالم (في اليونانية *Katholikos*). وكانت الكنيسة المسيحية في الشرق تضم كنائس أرثوذكسية مستقلة عديدة (طوائف)، لكل منها بطريركها. أما الكنيسة المسيحية في الغرب فكانت تدعى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وكان بابا روما رأسها. لاحقًا، أصبح يوجد عدد كبير من الأساقفة في الشرق فظهرت طبقة جديدة من القادة بين الأساقفة والبابا، وهي المطارنة. والمطران يرأس جميع الأساقفة في بلاده. وأنظمة القيادة الهرمية في الغرب والشرق بلغت أخيرًا شكلها الحالي.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

تذكر: كان هذا تاريخًا أثمًا في الكنيسة خلقه قادة بشريّون غير روحيين وليس له أي مبرر أو أساس كتابي! والمسيحيون الذين "لا يتجاوزون ما جاء" في الكتاب المقدس (أكورنثوس ٤: ٦) يرفضون هذا التطور التاريخي للقيادة في الكنائس الغربية والشرقية.

٦- التطور المستمر للطوائف (الإصلاح البروتستانتي) (١٥١٧ ب.م.).

أ. الشقاق الكبير الثاني في الكنيسة المسيحية.

خلال القرن السادس عشر، كان فساد عدد كبير من القادة داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية كبيرًا جدًا حتى أسس الكثير من الأشخاص حركة إصلاحية داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. أراد أشخاص مثل لوثر (٣١ أكتوبر ١٥١٧)، زوينغلي (١٥٢٢)، كالفين (١٥٣٦)، نوكس وغيرهم أن يصلحوا الكنيسة الكاثوليكية من الداخل، لكن قيادة الكنيسة الكاثوليكية آنذاك، قاومت الإصلاح وتمسكت بسلطتها. فحرم البابا المصلحون من الكنيسة. ما أدى إلى شقاق كبير ثاب بين الكنيسة الكاثوليكية وكنيسة الإصلاح في العام ١٥١٧. في الواقع، أرادت كنيسة الإصلاح العودة إلى كنيسة العهد الجديد في القرن الأول ب.م. وفيما وجدت الكنيسة الكاثوليكية قوتها في الأمور الخارجية، دعت كنيسة الإصلاح الناس إلى التركيز على الأمور الداخلية. أيضًا، ركزت الكنيسة الكاثوليكية على قوة مراكز الكنيسة (كاهن، أسقف، مطران، بابا)، والأسرار المقدسة، والأعمال، فيما ركزت كنيسة الإصلاح على كلمة الله المدونة في الكتاب المقدس، والتبرير بالإيمان والحياة المتغيرة.

ب. الشقاق المستمر في الكنيسة المسيحية.

في القرن السادس عشر، بدأت حركات إنجيلية عديدة في أوروبا وإنكلترا وأميركا. كما أدى التزايد الكبير في الفردية إلى تأسيس طوائف كنسية عديدة. وانشق بعض هذه الطوائف مجددًا وانقسم إلى طوائف كنسية أخرى. وكوّنت كل طائفة شكلًا قياديًا خاصًا بها.

تذكر: كان هذا تاريخًا أثمًا في الكنيسة خلقه قادة بشريّون غير روحيين وليس له أي مبرر أو أساس كتابي! والمسيحيون الذين "لا يتجاوزون ما جاء" في الكتاب المقدس (أكورنثوس ٤: ٦) يرفضون هذا التطور التاريخي للقيادة في الكنائس الغربية والشرقية.

٧- الطوائف الرئيسية (الحقبة الحديثة).

أ. الكنائس الأسقفية.

تؤمن الكنائس الأسقفية بشكل عام بوجود كنيسة واحدة فقط ألا وهي الكنيسة الكاثوليكية (المنتشرة في جميع أنحاء العالم). ولا تتمتع الجماعات المحلية الفردية بأي استقلالية. يجب أن تبقى الكنيسة متحدة بشكل مرئي في العالم. تشكل الكنيسة المتحدة المرئية انعكاسًا للأمبراطورية الرومانية القديمة.

يتم التشديد على مركز الأسقف الذي يشمل جميع المراكز الكنيسة الأخرى.

ويتم الاعتبار أن المسيح يحكم الكنيسة حول العالم من خلال مجمع الأساقفة (أو في حالة الكنيسة الكاثوليكية، من خلال أسقف روما- البابا)، وأنه يحكم الجماعات المحلية الفردية من خلال الأسقف.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

ب. الكنائس الجماعية المستقلة.

تؤمن الكنائس الجماعية المستقلة عمومًا بأن كل جماعة محلية فردية هي كنيسة بكل معنى الكلمة وهي مستقلة تمامًا. وتشكل الجماعات المستقلة انعكاسًا للأشخاص المستقلين في عصر التنوير والفردية.

حيثما تتم الكرازة بالإنجيل، يُقبل الناس إلى الإيمان. يتجمع المؤمنون ضمن جماعة (كنيسة محلية فردية) حيث يكون المسيح حاضرًا (متى ١٨ : ٢٠) ويلتزمون بملء إرادتهم بتنفيذ الدعوة الكتابية. ويتم الحرص على جعل الجماعات صغيرة بهدف التشديد على مركز المؤمن. تنشق الجماعات المستقلة الجديدة عن الجماعات المستقلة الكبيرة. وغالبًا ما تشكل كنائس مستقلة عديدة اتحاد كنائس حرّة حيث تبقى كل جماعة مستقلة تمامًا.

يتم التشديد على مركز المؤمن الذي هو كاهن ونبي وملك بين معارفه، وعلى الجماعة كلها كونها مسؤولة عن قيادة الجماعة.

يُعتبر المسيح قائدًا لكل جماعة مستقلة من المؤمنين مباشرة من خلال الروح القدس، والكتاب المقدس واجتماعات الكنيسة كلها، حيث يتخذ المؤمنون القرارات المهمة كافة وفق مبادئ ديمقراطية. وتحت تأثير الفردية الحديثة والديمقراطية، تلتقي الجماعة المستقلة كاملةً لانتخاب لجنة الكنيسة التي تضطلع بمهمة تنفيذ القرارات التي يتم اتخاذها أثناء اجتماعات الجماعة كلها.

ج. الكنائس المجمعية.

تؤمن الكنائس المجمعية عمومًا بأن كل جماعة محلية فردية هي كنيسة للمسيح بكل ما في الكلمة من معنى، لكنها ليست مستقلة تمامًا عن الجماعات المحلية الأخرى، ويجب تنظيمها تحت هيئة مظلة ضمن الأمة أو الدولة. تُدعى الهيئة المظلة المجمع (ما يعني الاجتماع معًا). المجمع هو تجمع شيوخ تم اختيارهم كممثلين للجماعات المستقلة ضمن الأمة أو الدولة. تشكل الكنائس المجمعية انعكاسًا للأمة أو الدولة القومية.

يتم التشديد على مركز الشيوخ المعيّن كتابيًا والذين يتم تمثيلهم في المجمع على صعيد قومي.

يُعتبر المسيح قائدًا للكنيسة القومية أو لكنيسة الدولة فريدًا (محليًا)، من خلال المراكز الكنسية المعينة مثل مراكز الرعاة والشيوخ والشمامسة، وقوميًا من خلال المجامع الإقليمية ومجمع قومي واحد.

د. الكنائس المشيخية.

تؤمن الكنائس المشيخية بأن كل جماعة محلية فردية هي إعلان كامل وتام ومنظور لجسد المسيح حول العالم (١كورنثوس ١٢ : ٢٧)، في هيئة مستقلة تمامًا عن الجماعات الأخرى، وإنما في تعاون مترابط بكل إخلاص.

يتم التشديد على مركز الشيوخ المعيّن كتابيًا (في اليونانية presbuteros). ويقود الجماعة الفردية المحلية مجلس أو هيئة الشيوخ (في اليونانية presbuterion). كما يتم التشديد على مركز كل مؤمن كونه كاهنًا ونبياً وملكًا ضمن دائرة معارفه الخاصة.

يُعتبر المسيح القائد الوحيد والأعلى في الكنيسة (أفسس ١ : ٢٠-٢٣) يقود كل جماعة محلية فردية من خلال روحه القدس (يوحنا ١٦ : ١-١٥)، والكتاب المقدس (أفسس ٦ : ١٧)، ومجموعة الشيوخ (١ تيموثاوس ٣ :

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

٧-١، ١٤-١٥). تختار كل جماعة فردية مجموعة الشيوخ الخاصة بها على أساس تعليم الكتاب المقدس وأثناء اجتماع الكنيسة كلها. وبالتالي، يعمل أعضاء مجموعة الشيوخ والكنيسة كلها على ضبط أحدهم الآخر تلافياً للأخطاء. فوق كل شيء، تمثل مجموعة الشيوخ المسيح وتعاليم الكتاب المقدس، وتأتي أهداف اجتماعات الكنيسة كلها في المرتبة الثانية. أيضاً تتعاون مجموعة الشيوخ مع مجموعة شيوخ أخرى بكل إخلاص ضمن جسد المسيح الواحد حول العالم.

٥. الكنائس المستقلة.

تؤمن الكنائس المستقلة عموماً بأن كنيستها هي الكنيسة الصائبة الوحيدة ويجب أن تكون مستقلة تماماً عن الكنائس الأخرى. تشكل الكنائس المستقلة انعكاساً لروح عدم النضوج والتحزب والاستقلالية الدنيوي (١كورنثوس ٣: ١-٤) وهي خاضعة لقائد كاريزماتي أو استبدادي وهو غالباً ما يكون مؤسس الكنيسة المستقلة.

يتم التشديد على القائد الكاريزماتي أو المستبد الذي هو الكاهن والنبى والملك ضمن طائفته المستقلة.

يُعتبر المسيح قائداً للكنيسة المستقلة من خلال القائد الكاريزماتي أو الاستبدادي. وإن كان لديه مجموعة من الشيوخ التنظيميين، فهم غالباً ما يصادقون على قراراته.

٨- تعليم العهد الجديد.

أ. مجموعة الشيوخ.

يُعلم العهد الجديد أن كل جماعة محلية فردية تتضمن مجموعة خاصة بها من الشيوخ (١ تيموثاوس ٤: ١٤) الذي يشكلون قادتتها.

جميع الشيوخ (أعمال الرسل ٢٠: ١٧) يُدعون أساقفة (مشرفون) وقسوساً (رعاة) (أعمال الرسل ٢٠: ٢٨)!

جميع الشيوخ (تيطس ١: ٥) يُدعون أساقفة (مشرفون) (تيطس ١: ٧).

جميع الشيوخ (١ بطرس ٥: ١) يُدعون قسوساً (رعاة) وأساقفة (مشرفون) (١ بطرس ٥: ٢) خاضعين للقس الرئيسي وهو يسوع المسيح.

هذا يبين بوضوح أنه في ما يتعلق بالمصطلح، يستخدم لوقا وبولس و١ بطرس الكلمات الثلاث شيوخ، وأساقفة، ورعاة بالتبادل في العهد الجديد! بغض النظر عما تعنيه هذه المصطلحات في تاريخ الكنيسة وما قد تعنيه اليوم في الطوائف المختلفة، لا يميز العهد الجديد بين الشيوخ والأساقفة والرعاة! لا يوجد تسلسل هرمي للقادة في العهد القديم أو في كنيسة العهد الجديد! لم يكن يوجد أبداً شيخ واحد مسؤول عن الجماعة، بل يوجد دائماً مجموعة من القادة المقامين في الكنيسة تُعرف بمجموعة الشيوخ (في اليونانية presbuterion) (١ تيموثاوس ٤: ١٤) لكل جماعة فردية (أعمال الرسل ١٤: ٢٣؛ تيطس ١: ٥) وكان جميع الشيوخ في مجموعة الشيوخ هذه يتقاسمون مسؤولية قيادة جماعتهم المستقلة.

الدليل الرابع- المُلْحَق ٤

ب. معنى هذه المصطلحات المختلفة.

لا تصف المصطلحات الثلاثة، شيوخ، رعاة، أساقفة ثلاثة مراكز مختلفة في الكنيسة كما أنها لا تصف ثلاثة مناصب مختلفة في الكنيسة. بل تشير كلها إلى مركز واحد في الكنيسة ألا وهو مركز الشيخ. إنها تصف مجموعة واحدة من قادة الكنيسة من ثلاث جهات نظر.

المصطلح شيوخ (في اليونانية presbuteros، في الإنكليزية priest) يعبر عن النضوج الروحي والخبرة، والاحترام الأعظم التي يتطلبها هؤلاء القادة.

المصطلحان رعاة (في اليونانية poimèn، في اللاتينية والإنكليزية pastor) وأساقفة (في اليونانية episkopos، في الإنكليزية bishop) تصف طبيعة مهام الشيوخ. يقود الشيوخ الناس كما يفعل الرعاة ويديرون النشاطات كما يفعل الأساقفة. كما أن المصطلحات قادة أو مرشدون (في اليونانية hègeoumenos) (عبرانيين ١٣: ٧، ١٧، ٢٤)، أشخاص يتولون الرئاسة (مدبرون، قيمون) (رومية ١٢: ٨؛ ١ تسالونيكي ٥: ١٢؛ اتيموثاوس ٥: ١٧) ووكلاء (قيمون) (في اليونانية oikonomos) (تيطس ١: ٧) تصف أيضاً طبيعة مهامهم.

يَعلم العهد الجديد أن جميع الشيوخ في الجماعة الفردية هم رعاة وأساقفة في تلك الجماعة. ويتشارك جميع الشيوخ في الجماعة الفردية المهام الرعوية والتعليمية والإدارية الرسمية في تلك الجماعة.

ج. خاتمة.

عرفت القيادة في الكنيسة مرحلة طويلة ومضطربة من التطور.

هذا الملخص التاريخي لا يهدف إلى تغيير بنية القيادة في كنيستك!

لكن قد تساعدك هذه الدراسة وجماعتك على أن تصبحوا أكثر كتابية في قيادتكم، وعلى أن تتبنوا المواقف الكتابية للقادة الكتابيين أي، "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ عَظِيمًا بَيْنَكُمْ، فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا" (متى ٢٠: ٢٥-٢٨).